شرح مسند أبي حنيفة

- قصة الوفاة .

أبو حنيفة (عن يزيد عن أنس أن أبا بكر Bه رأى من رسول ا صلى ا عليه وسلّم خفة) أي بصر منه خفة في مرضه الذي توفى فيه (فاستأذنه إلى امرأته) أي بالرواح إليها وهي كانت خارجة عند المدينة وقوله : بنت خارجة بالنصب على أنها بدل من امرأته أو بتقدير أعني أو يعني وكانت (في حوائط الأنصار) أي كانت امرأته في أحد بساتين بعض الأنصار بعارض من عوارض الدار ويسمى ذلك الموضع السنح بضم السين والنون وقيل : بسكون موضع بعوالي المدينة (وكان ذلك) أي ما رأى فيه من الخفة (راحة الموت) يعني أن ا سبحانه يخفف عن المؤمن ألم شدة مرضه قرب موته (ولا يشعر) أي بذلك أبو بكر والنبي صلى ا عليه وسلّم فإذا يحتمل مبنيا للفاعل والمفعول .

(ثم توفى رسول ا صلى ا عليه وسلّم تلك الليلة) أي في غيبة الصديق تهوينا على الصديق (فأصبح) أي أبو بكر والمعنى : دخل في الصباح (فجعل) أي فشرع يرى (الناس يترامسون) من الرمس وهو كتمان الخبر أي يتخافتون (فأمر أبو بكر غلاما) أي ولدا مملوكا (ليستمع) الخبر (ثم) واقطع (يخبره) أي يأتيه بأخبارهم فذهب فجاءه (فقال : أسمعهم يقولون : مات محمد فاشتد أبو بكر) أي سعى في جريه أو اشتد في حزنه (وهو يقول : واقطع ظهره فما بلغ أبو بكر المسجد حتى ظنوا أنه لم يبلغ) من شدة بكائه ووفور كآبته (وأرجف المنافقون) أي اضطربوا في أخبارهم وانقلبوا على إقرارهم فقالوا : لو كان محمد نبيا لم يمت وهذا جهل واحتج منهم لموت الأنبياء قبلهم نعم توهم بعض المؤمنين أنه أغمي عليه أو عرج به كعيسى عليه السلام أو أنه يعيش عمرا طويلا كنوح أو أنه خاتم الأنبياء فيبقى بين الخلق أجمعين إلى يوم الدين ومات لكن ا سبحانه يرد عليه روحه في الحين .

والحاصل أن موته لم يتحقق عند أكثر المؤمنين وكان يترتب فتنة عظيمة من إرجاف المنافقين (فقال) : أي عمر (وقد سل سيفه : لا أسمع رجلا) أي شخصا (يقول : مات محمد صلى ا عليه وسلّم إلا ضربته بالسيف) وكان يقول : إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة وا إني لأرجو أن شخصا يقول : مات محمد صلى ا عليه وسلّم إلا أقطع أيديهم وأرجلهم (فكفوا) بفتح الكاف وتشديد الفاء المضمومة أي فامتنعوا (لذلك) أي لأجل قول عمر (فلما جاء أبو بكر والنبي صلى ا عليه وسلّم مسجى) بتشديد الجيم أي مغطى ببرده (كشف) أي رفع (أبو بكر الثوب عن وجهه ثم جعل يلثمه) بفتح المثلثة

وكسرها يقبل فاه وشم الريح ثم سجاه ببرده ويقول : إن الله طيبك حيا وميتا . ذكره الطبراني في الرياض .

وفي رواية قبل جبينه وفي أخرى وضع فاه بين عينيه (فقال : ما كان الله ليذيقك من الموت مرتين) والمعنى أن هذا الموت محقق وتكراره أمر موهوم غير مصدق أنت أكرم على الله تعالى من ذلك لأن تكرار الإماتة في الدنيا موجب لزيادة مشقة هنالك .

وفي رواية للبخاري قال : بأبي انت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كنت عليها فقد متها (ثم خرج أبو بكر فقال : يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات) أي فليس له إله فهو كافر وفيه تعريض للمنافقين (ومن كان يعبد رب محمد) في دين اليقين كالمؤمنين المخلصين (فإن رب محمد) تعالى شأنه وعظم برهانه (لا يموت) فإن حياته أزلية أبدية (ثم قرأ : { وما محمد إلا رسول } (1) أي عبد أوحي إليه الحق وبعثه إلى الخلق { قد خلت من قبله الرسل } أي مضوا وماتوا فيمضي ويموت مثلهم كما أشار إليه تعالى : { وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ... كل نفس ذائقة الموت } (2) .

فالموت كأس وكل الناس شاربه والقبر باب وكل الناس داخله .

{ أفإن مات } أي محمد على فراش السعادة { أو قتل } على سبيل الشهادة { انقلبتم على أعقابكم } الجملة محط همزة الإنكار أي أرجعتم إلى ما ورائكم من الكفر { ومن ينقلب على عقبيه } أي بارتداده { فلن يضر الله شيئا } فإنما يضر نفسه { وسيجزي الله الشاكرين } على إيمانهم وإيقانهم وإحسانهم .

زاد البخاري فضج الناس يبكون (قال) : أي أنس (فقال عمر : لكأنا) بتشديد النون (لم نقرأها) أي هذه الآية (قبلها) أي قبل تلك الحالة (قط) أي أبدا (فقال الناس مثل مقالة أبي بكر) من كرم السابق وقراءته اللاحق .

_____ .

(1) آل عمران : 144 .

(2) الأنبياء 34 - 35